

قصة اللغة العربي (61) - الكوفة تخالف البصرة في النحو - الفروق

بين مدارس النحو

محمد صالح

السلام عليكم ورحمة الله اهلا وسهلا بالمشاهدين الاعزاء. في حلقة جديدة من حلقات قصة اللغة العربية هذه الحلقة مهمة جدا اعرف

انني رددت كلمة مهمة كثيرا ولكن هذه الحلقة فعلا مهمة - 00:00:04

من طبيعة العلوم انها تنشأ على يد مجموعة من الرجال ثم يأتي رجال اخرون بعقلية مختلفة قليلا فيضعون بصمتهم خاصة وينشئون طريقة اخرى. فتنشأ مذاهب ومدارس مختلفة وعلم النحو ليس استثناء من هذا. فبعدها شب في مدينة البصرة اتت مدينة الكوفة

لتضع بصمتها الخاصة - 00:00:22

فقد بدأت كفرع منها ثم حاولت بجهد حثيث ان تستقل بمدرسة اخرى جاءت الكوفة باختلافات تركت اثرها في تاريخ علم النحو ولكن

كان لها ايضا بعض الفوائد. وهذا هو موضوع حلقة اليوم - 00:00:48

وينبغي ان نكون واقعيين والا ننظر للامر بشكل سلبي فهذا الاختلاف والتنوع من سنة الله في الخلق. البشر دائما يختلفون ويتجادلون

وهذا الجدل هو ما يقود للصواب اذا تم بالطريقة الصحيحة - 00:01:06

البعض يعترض على مسمى مدرسة الكوفة. لانه يعتبرها مجرد تغييرات على اصل معروف ولكن حقيقة الامر انها استقلت فعلا. واتى

عليها اجيال من علمائها وواصلوا طريقها الخاصة لهذا فهي تعتبر طريقة او مدرسة اخرى ولا تهم التسميات - 00:01:24

الكوفة فعلا انشأت او حاولت انشاء نحو مختلف عن البصرة وهنا انبه انني كباحث في هذا الموضوع احاول التحدث بموضوعية

ولكن يجب ان يكون لكل انسان رأي. فاذا رأيتني اتخذت جانبا فهذا طبيعي. ويمكن ان يخالف قسم من المشاهدين الرأي -

00:01:46

الذي اتخذه ولا توجد مشكلة في هذا سنتكلم في هذه الحلقة عن ثلاثة اختلافات رئيسية بين المدرستين ثم نتكلم عن العيوب والمزايا

لهذا الانقسام النحوي. وتتناوله بشيء من التحليل ثم نجاب عن سؤال مهم - 00:02:08

هو ما النحو الذي ندرسه الان اتمنى ان تشاهدوا هذه الحلقة للنهاية حتى لو طالت قليلا لم تبدأ الكوفة دراسة لغة العرب من الصفر

كما علمنا من الحلقات السابقة فقد ارتكزت على الاسس التي وضعتها مدينة البصرة طوال مائة عام - 00:02:29

ولهذا السبب يدرس النحو البصري اولا ومما يذكر في هذا الشأن ان الكوفيين كانوا يأخذون من البصريين فيما يتخرج البصريون

الاخذ من الكوفيين لانهم يرون انهم اهل الصناعة ولانهم يرون ان النحو الكوفي غير منضبط - 00:02:55

وقد بدأ هذا الامر عندما اراد الكسائي رحمه الله ضم شواهد كلام العرب النادر ليحافظ على صحة قراءات القرآن ولكن الامر تحول في

الجيل الثاني الى صراع تغذيه الخصومة السياسية والرغبة في التفوق واحيانا الرغبة في التميز - 00:03:15

والاختلاف الكوفيون كانوا يرغبون بشدة في صنع طريقته الخاصة والمصريون ايضا ينافسون الكوفيين لانهم كانوا يرون انفسهم

اصحاب العلم وان الكوفة تستقوي عليهم بمكانتها عند الخلفاء وان المنافسة لم تكن عادلة. فقد كان الكوفيون فعلا مقربين من خلفاء

بني العباس - 00:03:35

ومن المهم ان نعلم ان الكوفة لا تخالف البصرة في الارقان الرئيسية للنحو لانها بنت ارائها على ما استقر في البصرة من اركان بهذا

سترى نفس التقسيمات الرئيسية ونفس الطريقة في محاولات التعليل - 00:04:01

ومع ذلك حرصت على ان تشق لنفسها طريقا خاصا فيما بعد تتميز الكوفة بثلاث صفات رئيسية او ثلاثة تعديلات وضعتها على طريقة البصرة اولا الاتساع في الرواية بحيث يقبلون الاشعار النادرة واللغات الشاذة - [00:04:17](#)

ثانيا الاتساع في القياس بحيث يقاس على النادر والشاذ دون التقيد بندرته واحيانا يجرون القياس دون السماع كما سيأتي في الحلقة هذه القواعد ليست دائمة. فهم احيانا يفعلون مثل البصريين ويعتمدون على المنطق والقواعد التي يضعونها - [00:04:38](#)

ثالثا المخالفة في المصطلحات النحوية بابتكار مصطلحات جديدة لنفس المسميات مع انهم لم يغيروا المضمون ولم يخترعوها لأول مرة ومع هذا حرصوا على اعادة التسمية للاستقلال عن المصريين كما انهم خالفوهم في التعليقات النحوية - [00:05:00](#)

ومن المهم التأكيد ان الاختلافات بين المدرستين ليست حدودا قاطعة ايضا. هناك كثير من التبادل والتداخل. وقد يتفق المصري والكوفي في مسائل ويختلفان في اخرى. وقد يختلف اثنان من نفس المدرسة في مسائل وهكذا - [00:05:21](#)

وبعد فترة من التفاعل بين المدرستين يأخذ كل فريق افضل ما عند الآخر ليظهر النحو بالصورة النهائية والان نتكلم ببعض التفصيل اولا الاتساع في الرواية اهم اختلاف بين البصرة والكوفة هو اتساع الكوفيين في قبول عبارات واشعار كل العرب. لانهم اعتبروا ان كل العرب حجة - [00:05:40](#)

فاخذوا من الفصحاء وغير الفصحاء. من البدو والحضر. وممن جاور العجم او لا. وسواء تكرر اللفظ كثيرا ام ورد مرة واحدة وربما يبنون قاعدة كاملة على بيت واحد من الشعر حتى لو كان غير مشهور - [00:06:06](#)

وفي معجم الادباء فقرة تذكر ان البصريين قالوا عن الكسائي انه كان يسمع الشاذ الذي لا يجوز من الخطأ واللحن والشعر لغير اهل الفصاحة فيجعل ذلك اصلا ويقيس عليه حتى افسد النحو - [00:06:24](#)

اما البصريون فكما ذكرنا فقد تشددوا جدا في من يأخذون عنه الاقوال كما بينا في حلقات اخرى ولا داعي للتكرار ولكن لكي تتصوروا شدة البصريين اذكر انهم لم يكونوا يأخذون عن ابناء قبائل بكر وتغلب رغم شهرة اجدادهم - [00:06:41](#)

في عصر المملكات الجاهلي لانهم يخالطون الفرصة في السكن منذ زمن طويل ولا عن بني عبد القيس النازلة في البحرين لمخالطتها الفرس والهند اما الكوفيون فكانت نظرتهم مختلفة اذ اعتبروا ان كلام كل العرب صحيح ويؤخذ منه - [00:07:01](#)

فلم يفرقوا ولم يتحروا عن فصاحة من يأخذون منه الكلام وهذه الطريقة الكوفية كما ذكرت في حلقة الكسائي تحفظ الكلمات النادرة ولكنها تؤدي الى اضطراب عند وضع القاعدة وكان البصريون يثقون في منهجهم ويتفخرون على الكوفيين في هذا الشأن - [00:07:22](#)

قال بعضهم مقولة طريفة نحن نأخذ اللغة عن حرشة اي اكلت الضباب وهو الحيوان الصحراوي واكلت اليربوع. يقصد البدو الخلس ابناء الصحراء وانتم تأخذونها عن اكلة الشوايرز جمع شيراز وهو اللبن الرائق المصفى. وقيل نوع من الجبن. وباعت الكواميخ - [00:07:43](#)

جمع كامخ وهو ما يشتهي من الطعام كالمخللات هذه الاكلات ليست من اكلات العرب. ولم تعرفها الا بعد الفتوحات في فارس يقصد ان يقول انكم تأخذون اللغة من اهل المدن المخالطين للعاجم والمتأثرين بهم - [00:08:07](#)

اما نحن فنأخذها من الذين تجري في عروقهم العروبة الصحراوية الاصلية اما في القياس فكان الكوفيون ايضا اكثر تساهلا في استخراج الشاهد الذي تؤخذ منه القاعدة اما البصرة فقد اشترطت كعادتها ان تكون الشواهد التي تؤخذ منها الاقيصة مضطربة على السنة العرب حتى تستخرج من - [00:08:25](#)

قاعدة عامة وبهذا احكموا النحو واذا قابلهم مصطلح لا يضطرب مع القاعدة فانهم يقولون انه لحن او نادر ولا يعنون به تخطئة العرب الاوائل كما يظن البعض. بل يقصدون انهم لن يأخذوا به في وضع القاعدة - [00:08:50](#)

اما الكوفيون فتوسعوا في القياس واخذوا حتى ممن فسدت عربيتهم وعلى الجهة الاخرى استعملوا القياس احيانا بدون استناد على اي سماع وقد اجازوا جملة قام زيد لكن عمرو باستعمال لكن كحرف عطف بالايجاب اي غير نافية مع ان هذا لم يسمع - [00:09:10](#)

من العرب على الاطلاق واحيانا كانوا يرفضون السماع. فقد رفضوا اعمال اسماء المبالغة في بعض اقوال العرب الفصحاء واشعارهم.

وقد عملت فيها صيغ فاعول وفعليل ومفعال وفعل واوردها سيبيويه في مثال اما العسل فانا شراب. بنصب العسل مفعولا به لشراب -

[00:09:33](#)

ولكن الكسائي والفراء رفضا عملها رغم سماعها من العرب بحجة انها قسم من اسماء الافعال. واسماء الافعال قسم من الفعل المضارع وهكذا فضلوا نظرياتهم اي القياس على الكلام المسموع ومن المعروف ان الفراء وهو الرجل الثاني في النحو الكوفي والمنظر

الحقيقي للمدرسة ومن اكسبها صورتها بعد الكسائي كان متكامل - [00:09:57](#)

لمن معتزلا ولهذا كان يكثر من الحجج الكلامية بهذه الطريقة وفي الكتب التي تناقش الاختلافات بين الكوفيين والبصريين تجد الجدالات الكلامية والتعليلية من الطرفين على حد سواء اذكر هذا لان البعض يصف النحو الكوفي بانه قائم فقط على التوسع في

السماع بعكس البصريين الذين يستعملون المنطق - [00:10:26](#)

ربما كان هذا صحيحا الى حد ما في حالة الكسائي ولكن الفراء ومن بعده استعملوا المنطقة كثيرا ايضا ولم تكن مدرسة الكوفة مبنية فقط على الاستماع السمة الثالثة للنحو الكوفي وهي اكثر نقطة تدل ان الكوفيين كانوا يقصدون قصدا مخالفة البصريين -

[00:10:53](#)

هي انهم حاولوا تمييز مدرستهم بمصطلحات جديدة. ومختلفة عن البصريين مع انها تصف نفس الشيء تماما فلا حاجة لاسم جديد وكذلك مخالفتهم في باب العوامل والتعليقات ونلاحظ ان هذا الامر بدأ مع الجيل الثاني مع الفراء بشكل خاص - [00:11:16](#)

ابدأ بعض المصطلحات التعليلية. ومنها مثلا مصطلح الخلاف وهو عامل معنوي اي غير ظاهر. جعلوه علة نصب الظرف اذا وقع خبرا. في نحو محمد ام ومن ذلك اصطلاح الصرف جعله الفراء علة لنصب المفعول معه - [00:11:38](#)

ومن هذا مصطلح التقريب وهو خاص عندهم باسم الاشارة هذا. في مثل هذا زيد قائما اعتباروا ان هذا في هذه الجملة من اخوات كان وزيد اسم مرفوع قائما خبر هذا منصوب. وهو اعراب غريب - [00:12:00](#)

بينما يعرب البصريون كلمة قائما حال منصوبة وما قبلها مبتدأ وخبر اما المصطلحات النحوية التي اتوا بها فكثيرة منها الفعل الدائم ويقصدون به اسم الفاعل الفعل المستقبل او المستقبل يقصدون به الفعل المضارع والامر معا - [00:12:21](#)

بانه معتبر مضارع والامر شيئا واحدا اما الضمائر فسموها المكنى والكناية والظرف الصفة والمحل البدل اطلقوا عليه الترجمة التمييز اطلقوا عليه التفسير لا النافية للجنس لا التبرئة الصفة اطلقوا عليها النعت - [00:12:44](#)

حروف النفي اطلقوا عليها حروف الجحد حروف الزيادة وهي الحروف التي تأتي لتأكيد الفعل سموها حروف الصلة والحشو الممنوع من الصرف اطلقوا عليه ما يجري وما لا يجري. والامثلة في هذا كثيرة - [00:13:10](#)

وقد قاموا بهذا على الرغم انهم درسوا جميعا كتاب سيبيويه بما فيه هذه المصطلحات ولكنهم ارادوا ان يختلفوا عنه وقد اندثر

استعمال مصطلحات الكوفيين ما عدا النعت وعطف النسق. لان ابن ما لك استعملهما فيما بعد في الالفية - [00:13:29](#)

اما مصطلحات البصريين فسادت اولاً لانها وضعت اولاً. ثانياً لانه لا توجد حاجة لوضع مصطلحات جديدة. وهي لا تقدم اي اضافة في المعنى بل وضعت فقط لاجل الاختلاف اما اكثر مثال يدل انه وضع فقط لاجل الخلاف او التمييز عن البصرة - [00:13:49](#)

ان البصرة وضعت مصطلحات الرفع والنصب والجزم والجر على الحالات الاعرابية فيما وضعوا الفتح والضم والكسر والسكون لحالات البناء. فيقال مبني على الضمة فحاول الكوفيون عكس هذه المصطلحات ويطلقون القاب الاعراب على المبنيات والقاب

المبنيات على المعربات - [00:14:12](#)

وهو امر لا حاجة له على الاطلاق. وكان سيحدث فوضى عارمة لو استمر ولكن لم يؤخذ به مصدر هذه المعلومة هو ما نقله الدكتور

شوقي ضيف في شرح الرضي على الكافية وشرح ابن يعيش - [00:14:38](#)

وفي العوامل قال البصريون ان المبتدأ مرفوع بالابتداء اي لانه اول الجملة وسبب رفع الخبر انه وقع خبرا للمبتدأ اما الكوفيون فقالوا

ان الخبر والمبتدأ يرفع بعضهما بعضا فهما مترافعان - [00:14:55](#)

وهو تكلف شديد وقد تجادل الجرمي البصري مع الفراء الكوفي في هذه المسألة فافحمه وسوف اذكرها في حلقات لاحقة واضرب

مثلا في بيان اشتداد الكوفيين في الخلاف مع المصريين واستعمال المنطق ايضا مخالفتهم في تعليل الاستثناء - [00:15:12](#)

في مثل قام القوم الا محمدا قال البصريون ان محمدا منصوبة بالفعل قبلها بواسطة الا وذهب بعضهم ان الا هي الناصبة ببساطة اما الكسائي فقال انها منصوبة بحرف ان مقدرا. اي غير ظاهرة بعد الا - [00:15:34](#)

فهو يقدر الجملة بقام القوم الا ان محمدا لم يقم. فحذفت ان وحذفت لم يقم ايضا. وهو تمنح وتعقيد بعيد اما الفراء فزاد التعقيد اكثر من استاذة عندما قال ان الا اصلها ان مشددة ولا. وحذف التشديد من ان للتخفيف فاصبحت ان. واضهمت النون الاولى -

[00:15:56](#)

اله فاصبحت الا. وترافق هذا مع تقديم وتأخير واصل الجملة عند الفراء هي قام القوم ان محمدا لا قام وهكذا ترون ان هذا تكلف اشد من تكلف الكسائي ويظهر فساد تفسيره في الحالات التي يكون فيها المستثنى مرفوعا. اذ لا يصلح هذا التفسير على الاطلاق -

[00:16:23](#)

والان نختتم الحلقة بشيء من التحليل حول ظاهرة انقسام النحو الى كوفي وبصري من الواضح ان الكوفة اقامت مدرسة نحو مستقلة عن البصرة لها سمات واضحة ولكنها لم تكن محكمة مثل مدرسة البصرة - [00:16:47](#)

النحو البصري هو الذي ساد لانه وضع من البداية بطريقة ادق رغم ما فيه من تعقيد بسبب المنطق. ولكنهم فهموا ما الذي ينبغي ان يكون عليه النحو النحو الكوفي بوجه عام اقل انضباطا. لان كل قاعدة يوجد لها اوجه لا تنتهي. لانهم قبلوا السماع من كل المصادر -

[00:17:10](#)

بغض النظر عن اصلها او تكرار استعمالها عند العرب. واعتبروها كلها صحيحة لهذا من الصعب جدا ان تضبط التعريفات. لانه دائما توجد اوجه اخرى لا تنتهي واستثناءات ربما تتعارض مع القاعدة - [00:17:33](#)

الاساسية تماما. كما انه يحتوي المنطق مثل البصريين كما تجدر الاشارة ان النحو الكوفي مبني على النحو البصري ورغم شهرة

الخلاف فان ما اتفق عليه اكثر من الاختلافات. ولكن الاختلافات هي التي تشتهر - [00:17:51](#)

النحو الكوفي هو فرع خرج من الاصل البصري ثم استقل مع الوقت بخصائص جديدة. ولكنه ظل محتفظا بنفس الهيكل العام مع ذلك فقد افاد هذا الخلاف الكوفي المصري البصري دراسة العربية من عدة نواح - [00:18:09](#)

اولا حفظ بعض الاثار الواردة عن العرب. ولو انها لا تستعمل مصدرا للنحو ولكنه حفظها من باب التوثيق ثانيا افادت هذه النقاشات

المطولة في اخراج كتب النحو اللاحقة التي اخذت افضل ما في المدرستين - [00:18:27](#)

قيام هذا الخلاف ادى الى اثراء النقاش والمراجعة الدقيقة لكل مسألة لغوية. واخذ العلماء اللاحقون بفحص الاقوال المختلفة واخذوا

بالرأي الا صوب في كل مسألة. فظهر الشكل الجديد من النحو الذي يجمع اقوال كل العلماء من المدرستين - [00:18:46](#)

ولو انه ارتكز بشكل اكبر على النحو البصري بعض الكوفيين وخاصة الكسائي كان اقل اعتمادا على المنطق من البصريين. ولو انه يستعمله كما اوردت من امثلة فاذا وردت كلمة من العرب فانه لم يكن يكثر من الغوص في تعليلها. بل يقول انها صحيحة لانها خلقت

هكذا كما قال الكسائي - [00:19:05](#)

ولكن كما ذكرت ان الفراء وهو الرجل الثاني في الكوفة وهو في مقام سيبويه بالنسبة للبصرة كان يكثر من التكلم والفلسفة والمنطق

اذا ما الذي ندرسه الان النحو الذي ندرسه باختصار هو خليط من المذهبين مع غلبة للنحو البصري - [00:19:29](#)

وبعدما تم اجراء المراجعات والتحسينات عليه على مر الزمن مع اضافات من اختيارات ابن مالك العالم المشهور صاحب الالفية.

الاندلسي مولدا الدمشقي وفاة لان هذا العالم كتب الله له القبول وشروح الفيته هي التي شاعت في العالم بعد ذلك واشتهرت -

[00:19:52](#)

وكان ابن ما لك رحمه الله ككل المتأخرين ينتقي من المدرستين في النهاية احب ان انبه ان بعض المدرسين يتعمدون استعراض الخلافات بين المصريين والكوفيين في كل مسألة فيكثر ذكر الراء. وهذا يصعب دراسة اللغة العربية في الوقت الذي نريدها ان

تقدم بشكل سلس كي تنتشر - [00:20:13](#)

وخاصة اذا لم يكن هناك ضرورة لذكر هذه الاختلافات وليس كل خلاف معتبر. لان اغلبها مردود عليه بصورة او اخرى وعرض

النقاشات الكثيرة في كل مسألة من الامور التي جعلت الناس يستصعبون دراسة اللغة - [00:20:41](#)

وقد كانت هذه الخلافات نتيجة عصور اخرى في بداية وضع العلم ونحن الان لا نملك الرفاهية لتكرارها لقلة اهتمام الناس باللغة

العربية في الجملة فلا داعي لاضاعة وقت الناس شكرا جزيلا على متابعتكم لهذه الحلقة - [00:20:59](#)

لا تنسى ان تضع علامة الاعجاب وان تشترك على قناة مدرسة الشعر العربي شكرا لكم. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - [00:21:18](#)